

١

الرسالة

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

[سورة العلق]

﴿ إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْنَا قَوْلًا لَقِيْنَا ﴾

[سورة المزمل]

﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَدِينُ ۝ (١) قُرْآنًا نَّذِيرٌ ۝ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ۝ (٣) ﴾

[سورة المدثر]

obeikandi.com

«فى الأيام الأخيرة من شهر رمضان قبل
المبعث.. بظاهر مكة.. فضاء فسيح عند سفح
جبل حراء.. يبدو غار حراء فى بطن الجبل،
فى نور وجمال يشملان المكان كله.. وكأن البقعة
مقتطعة لا صلة لها بما وراءها من مجون وفجور
وضلال تعج بها مكة وما وراءها.. على امتداد
البصر بعض الرعاة يرعون الأغنام.. وعلى
مقربة من سفح الجبل اثنان منهم يتناجيان..».

الأول : (لزميله ونظره مشدود إلى الغار) ألم أقل لك؟! .. لا بد أن
محمدًا يتعبد فى الغار الآن..

الثانى : (مرددًا) يتعبد؟! .. وما له لا يتعبد فى البيت العتيق؟

الأول : ألم تلاحظ أنه لم يحلف بالهتنا قط؟!

الثانى : (كمن تذكر أى واللوات والعزى.. و.. ولكن.. أ.. أ.. أتريد
أن تقول إنه يعبد آلهة أخرى؟!

الأول : لا أعرف.. (بقلب واجف ونظره معلق بالغار).. ولكن
للرجل شأنًا لا نعرفه.. وقلبي يحدثنى بشيء عظيم..

* * *

«بمدخل الغار.. محمد عليه السلام يتضرع
ناظرًا إلى السماء.. يشمل المكان فجأة ضوء باهر
غريب.. يبدو محمد عليه السلام مأخوذًا بأمر
يحسها ولا يراها.. وإذ هو فى ذهوله، يأتية
الروح الأمين يحمل كتابًا فى نمط من ديباج..
ويناديه».

جبريل

: (للنبي) .. اقرأ..

النبي

: (مأخوذاً) ما اقرأ..

«جبريل يغط محمداً بالكتاب غطة حتى ظن

عليه السلام أنه الموت، ثم أرسله..».

جبريل

: .. اقرأ..

النبي

: (وقد أخذه الخوف والإجهاد) ما اقرأ؟!!

جبريل

: (معاوداً للنبي وهو يغطه ثانية) اقرأ..

النبي

: (فى وجل وقد بلغ منه الإجهاد كل مبلغ) ماذا اقرأ..

«جبريل يعاود للمرة الثالثة غط النبي بالكتاب

غطةً شديدة، حتى بدا على محمد عليه السلام

أنه الموت، ثم أرسله..».

جبريل

: (معاوداً للنبي) اقرأ؟!!

النبي

: ماذا اقرأ..

جبريل

: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ

الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [سورة

العلق: الآيات: ١ - ٥].

(يرتفع الوحي)

* * *

«فى دار محمد عليه السلام.. السيدة خديجة

تجلس بإحدى الغرف.. يدخل عليها النبي وبه

روع شديد».

خديجة : (مبادرة في رفق) يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي!

«النبى لا يزال يبدو مأخوذاً.. لا تكاد خديجة تنهى تساؤلها حتى تأخذه رعدة شديدة.. فينادى عليه السلام من حوله».

محمد : (مرتاعاً) زملونى!.. زملونى!..

خديجة : (حانية في قلق) ماذا بك يا ابن العم؟!

محمد : زملونى!.. زملونى!..

«تنادى خديجة على من بالدار للإسراع

بدثار.. تأتيها جارية به، فتسرع خديجة إلى

تدثير محمد عليه السلام به..».

خديجة : (وهى تدثر النبى) أفلا نبأتنى بخبرك؟!

«يهمس إليها النبى عليه السلام بما كان.. لا

يفارقها اهتمامها ولا حدبها وهي تسمع.. يفرخ

روح النبى عليه السلام شيئاً فشيئاً، بينما يزداد

اهتمام خديجة بما تسمع».

محمد : (كالمخاطب نفسه) لقد خشيت على نفسى!

خديجة : (مواسية للنبى فى اهتمام) كلا.. والله ما يخزيك الله أبداً!..

إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري

الضيف، وتعين على نوائب الحق.

* * *

«بعد فترة من الوقت فى دار ورقة بن نوفل..»

ابن عم خديجة.. شيخ طاعن، قد كف بصره أو يكاد.. تجلس إليه السيدة خديجة وقد بدا أنها فرغت للتو من حديث لها، بينما الشيخ مطرق يفكر».

: (متسائلة في قلق) أسمعت ما كان من أمر ابن أخيك؟

: (وهو لا يزال مطرقاً يفكر) نعم!!

: فما ترى!!؟

: (بعد برهة - بحرارة واضحة) قدوس قدوس.. والذي نفس ورقة بيده، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى..

(يستأنف ناصحاً مترفقاً) فقول له فليثبت..

«تتهياً خديجة للانصراف وتنهض.. تنصرف»

«في دار محمد عليه السلام.. لا يزال نائماً مغطى مزملاً في فراشه.. فجأة يهتز عليه السلام قليلاً وتثقل أنفاسه ويبدو كمن أتاه رثى وهاتف وهو بين المنام واليقظة.. تدخل خديجة فتتنظر إليه في حب وحنين وإشفاق.. ولكنها تلزم الهدوء.. بينما تنساب إلى محمد كلمات الروح الأمين.. لا يسمعها إلا هو..»

: (يتلو) ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ① قُرَّ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ ③ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ④ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ⑤ إِنَّا سَأَلْنَا عَلِيَّكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑧﴾

جبريل

وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ [سورة المزمل: الآيات: ١ - ٩].

(يرتفع الوحي)

«ينهض محمد عليه السلام وقد أخذته رجفة رقيقة.. تقبل عليه خديجة شفوقة حانية.. تحاول أن تدعوه إلى النوم، ولكنه عليه السلام لا ينام ويخبرها بما عاد فأتاه»

* * *

«بعد أيام قلائل.. الرسول عليه السلام يطوف بالكعبة لا يلتقى بالآللأصنام.. يلاقيه ورقة بن نوفل.. ينتحى به لفترة.. يتناجيان ويعيد عليه الرسول ما كان.. فيبتدره ورقة بن نوفل..»

ورقة : (للنبي) والذي نفسى بيده قد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى.. ولسوف يكذبك قومك ويؤذونك، ويخرجونك، ويقاتلونك..

محمد : (متسائلاً) أومخرجى هم؟!
ورقة : (وهو يومئ بالإيجاب).. لئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه..

«يقترّب الشيخ من محمد، ينحنى ويقبل وسط أعلى رأس النبي عليه السلام.. النبي يقف متأثراً بما صنع الشيخ.. يكاد لا يدرى ما يقول..»

: (للنبي وهو يتهياً للانصراف).. لم يأت رجل قط بمثل ما
جئت به إلا أودى وعودى، وإن يدركنى يومك، أنصرك
نصراً مؤزرًا..

* * *

«بعد أيام.. محمد عليه السلام فى طريق
عودته من غار حراء إلى مكة.. وبينما هو فى
بطن الوادى.. إذ به يسمع نداءً يناديه فينظر
محمد عن يمينه وعن شماله، وعن خلفه وقدامه،
فلا يرى شيئاً.. فينظر متوجساً إلى أعلى رأسه..
يبدو كمن شاهد أمراً على العرض بين السماء
والأرض.. فيبلغ منه الروع كل مبلغ ويسرع عائداً
إلى داره مرتاعاً.. تستقبله خديجة.. فيبادرها..
دثرونى.. دثرونى.. تسارع خديجة إلى صب
بعض الماء عليه، وتدثيره.. بعد برهة يخلد إلى
نوم رقيق.. فجأة تثقل أنفاسه، ويتفصد جبينه
عرقاً.. تلحظه خديجة.. فلا تستطيع أن تغالب
إشفاقها».

: (لمحمد فى حنو وإشفاق) ما لك يا ابن عم؟!

خديجة

«محمد لا يرد، ولكنه يبدو مصغياً لصوت لا يسمعه

سواه.. تأخذه رجفة..»

: (وقد ازداد قلقها) ما لك ترتجف، وجبينك يتفصد عرقاً؟!

خديجة

«محمد لا يجيب..»

* * *

«تسرع خديجة إليه بمزيد من الدثار.. ولكن
محمداً غير ملتفت إليها.. يبدو وقد ازداد
احتفاؤه بذلك الصوت الذى لا يدركه ولا
يسمعه إلاه...».

: (يتلو على محمد) ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَدِينَةُ ۝١ قُرْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمُنْ بِتَسَكُّرٍ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ ﴾ [سورة المدثر: الآيات: ١ - ٧].

جبريل

(يرتفع الوحي)

«بعد برهة.. محمد يكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. تنظر إليه خديجة متسائلة، فيعيد عليها ما أوحاه إليه جبريل، فتنتطق بدورها مكبرة: الله أكبر.. الله أكبر.. يظهر جبريل لمحمد فلا تراه خديجة».

: (لمحمد) أقرئ خديجة السلام من ربها..

جبريل

: (هاتفاً فى رفق) يا خديجة، هذا جبريل يقرئك السلام من ربك!

محمد

: (فرحة مستبشرة وقد أشع وجهها بنور الإيمان).
الله السلام، ومنه السلام.. وعلى جبريل السلام..

خديجة

«محمد فى قلق مقيم.. لا يطمئن ولا يهدأ.. وكيف والوحي فى أول عهده به.. لا يكاد يخلو إلى نفسه حتى يوافيه الصوت الذى يناديه.. ما يكاد يصل إلى داره، حتى يتجه بخواطره إلى

زوجه خديجة».

محمد : (لخديجة) يا خديجة، إنى إذا خلوت وحدى سمعت

نداء، وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرًا!!!

خديجة : معاذ الله!.. ما كان الله ليفعل بك.. فوالله إنك كما قلت

لك، لتؤدى الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث..
وانما هو...

«تدخل من تستأذن لأبى بكر.. فيؤذن له..

وتتوقف خديجة عن المضى فى حديثها.. يدخل

أبو بكر.. فتروى له خديجة ما كان من حديث

محمد لها.. ثم تتجه إليه قائلة..».

خديجة : (لأبى بكر) يا عتيق، اذهب مع محمد إلى ورقة بن نوفل..

«أبو بكر يمسك بيد محمد فى حب ومودة، وينطلقان

معاً إلى ورقة بن نوفل.. تبدو خديجة وقد اطمأنت إلى ما

أشارت به.. ألم يكن لورقة من قبل معهما حديث!!!

«فى دار ورقة بن نوفل.. وقد جلس معه

محمد وأبو بكر.. يقصان عليه أن محمداً لا يكاد

يخلو إلى نفسه، حتى يسمع منادياً يناديه:

«يا محمد».. فينطلق محمد حتى صار يخشى من

هذا النداء الذى يوافيه.. فيعيد الشيخ استفسار

محمد فيما يسمعه، فيقول له محمد..».

محمد

: (لورقة) إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي:

«يا محمد»، «يا محمد».. فأنتقل في الأرض.

ورقة

: (مواسياً ناصحاً) لا تفعل . إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول لك ..

«ينصت محمد، ولا يجيب.. ولكن يبدو على وجهه الرضاء بما سمع.. بعد برهة، ينهض محمد وأبو بكر. فينصرفان..».

* * *

«بعد أيام.. محمد في خلوته.. يسمع الصوت من خلفه يناديه.. يثبت.. فإذا بالروح الأمين يلقي إليه من كلمات ربه ..».

جبريل

: (منادياً) يا محمد، قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١)
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٣) مَلِكِ
يَوْمِ الدِّينِ^(٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ^(٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ^(٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ^(٧) ﴿[الفاتحة: الآيات ١ - ٧].

(مستأنفاً) قل لا إله إلا الله..

محمد

: (مردداً) لا إله إلا الله..

«يرتفع الوحي.. ومحمد يردد لا إله إلا الله..

لا إله إلا الله..».

* * *

«دار ورقة بن نوفل.. محمد يقص عليه ما

سمعه ، فما يكاد الشيخ يسمع ، حتى يبتدر النبي ..» .
 : كما قلت لك من قبل .. أبشر ثم أبشر ، فأنا أشهد أنك الذي
 بشر به عيسى ابن مريم ، وأنت على مثل ناموس موسى ،
 وأنت كما أخبرتك نبي مرسل ..
 «محمد ينصت باهتمام» .

«يمضى محمد منصرفاً ، بينما يبدو الشيخ لا
 يزال مأخوذاً بجلال ما سمعه من أخبار النبوة
 والنبي اللذين قرأ عنهما في التوراة والإنجيل ..» .

* * *

«محمد بأعلى مكة .. يأتيه جبريل ، فيهمز له
 بعقبه في ناحية الوادي .. يتبعه محمد بنظره ،
 فيشاهد عيناً تنفجر منه .. يشير جبريل إلى محمد
 ليحاكيه ، ويبدأ جبريل في الوضوء للتطهر ،
 فيتوضأ محمد مثلما فعل .. ثم يقوم جبريل فيصلي
 به ركعتين . ويصلي محمد بصلاته .. فما يكاد
 يفعل ، حتى ينصرف جبريل» .

«محمد ينطلق إلى داره ، فيدعو خديجة ،
 ويعلمها الوضوء والصلاة كما أراه جبريل .. فتتوضأ
 خديجة ، ثم يصلي بها محمد ، فجعلت تصلي
 بصلاته .. يقرآن الفاتحة في كل ركعة ..» .

* * *

«بعد أيام.. محمد وخديجة يصليان بالدار
يلمحهما على بن أبي طالب.. غلام في العاشرة..
يقف على مدهوشاً بما يراه.. فما يكاد محمد
وخديجة يفرغان من الصلاة حتى يتجه على
بحيرته إلى محمد يستوضحه ويتلقى عنه..».

: (لمحمد مدهوشاً) لمن تسجدان!!!

: إنما نسجد لله الذي بعثنى نبياً وأمرني بأن أدعو الناس
إليه، وإنى أدعوك إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى
ترك الأصنام من أمثال اللات والعزى..

«على يسمع، ولكن لا يقول شيئاً.. فيتلو
عليه محمد القرآن، بينما على.. الغلام.. يسمع
مأخوذاً بجلال ما يسمعه.. بعد فترة وقد حان
ميعاد النوم، فينام على نوماً مضطرباً، تختلف
إليه في منامه الأفكار، أيشاور أباه قبل أن يتبع
محمدًا، ولكنه يصبح وقد فتح الله عليه وجمع
أمره، فيحدث نفسه..».

: (محدثاً نفسه) لقد خلقني الله من غير أن يشاور أبا
طالب، فما حاجتى أنا إلى مشاورته لأعبد الله!!!

«يتجه إلى محمد، فيسلم بين يديه.. يعلمه
محمد التطهر بالوضوء، والصلاة.. ويقرأ عليه
فيما يعلمه فاتحة الكتاب.. وكيف يجب أن تُقرأ
في كل ركعة..»

«بالكعبة بعد أيام.. عفيف الكندى يجلس مع العباس بن عبد المطلب.. يرى عفيف شاباً مقبلاً، يرمى ببصره إلى السماء، ثم يستقبل الكعبة.. فلم يلبث حتى جاء غلام فى نحو العاشرة، فقام عن يمينه.. ثم جاءت امرأة، فقامت خلفهما.. يلحظ عفيف الكندى أن الثلاثة يأتون بحركات لا يفهمها.. يركع الشاب فيركع الغلام والمرأة، يرفع الشاب فيرفع الغلام والمرأة.. يخز الشاب ساجداً، فيسجد الغلام والمرأة معه.. وعفيف الكندى ينظر إليهم وإلى العباس وقد بلغت به الدهشة كل مبلغ..».

- عفيف : (للعباس) يا عباس، هذا أمر عظيم!!
 العباس : (مردداً) أمر عظيم!!
 عفيف : يا عباس، ما هذا الدين؟!
 العباس : (وهو يشير إلى محمد) أتدرى من هذا؟
 عفيف : لا.
 العباس : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي (يستأنف وهو يشير إلى على) أتدرى من هذا?!
 عفيف : لا.
 العباس : هذا على بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن أخي..(يستأنف وهو يشير إلى المرأة) أتدرى من هذه المرأة التى خلفهما؟
 عفيف : لا.
 العباس : هذه خديجة بنت خويلد، زوجة ابن أخى محمد.. وهو يحدث بأن الله هو رب السماء، وأنه أرسله بهذا الدين.. وقد دعاهما إلى هذا الذى تراهما عليه.. وقد صدقاه وآمنا به.

«ينظر عفيف مأخوذاً لا يدرى ما يقول.. ولا
ينطق بحرف..».

«بعد أيام.. فى شعاب مكة، محمد وعلى
يصليان.. يمر بهما أبو طالب.. فينتظر حتى
يفرغا..».

أبو طالب : (لمحمد.. فى رفق) يا ابن أخى، ما هذا الدين الذى
أراك تدين به؟!

محمد : أى عم، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا
إبراهيم.. بعثنى به الله رسولاً إلى العباد، وأنت أى عم
أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من
يجيبنى ويعيننى عليه.

أبو طالب : (حائياً) يا ابن أخى، إنى لا أستطيع أن أفارق دينى
ودين آبائى وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك
أحدٌ بشيءٍ تكرهه ما حييت..
«أبو طالب ينظر إلى ابنه على وفى عينيه
تساؤل لا يخفى على ابنه على..».

على : (لأبيه) يا أبة، آمنت بالله، وبرسوله وصدقته بما جاء
به، وصليت معه لله، واتبعته..

أبو طالب : (وقد فكر قليلاً).. أى بنى، أما أنه لا يدعوك إلا إلى
خير، فالزمه..

«ينصرف أبو طالب..»
